فضائل شهر رمضان

لأبي الإرشاد علي بن محمد الأجهوري

شيخ المالكية في عصره

(٩٦٧ - ١٠٦٦ هـ)

تحقيق وتعليق

د/ أحمد عبد الرحيم السايح الشيخ عبد المنعم فرج دريش

دار الفضيلة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ
لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ
فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ
أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

سورة البقرة

مُقَـدِّمَـة التَّحقيـق

إنَّ الحمد للَّـه ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ باللَّـه من شرور أَنْفُسِنَا وسَيِّـئَـاتِ أعمالنا ، من يَهْدِهِ اللَّـه فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَن يُضْلِل ، فَلَا هَادِى لهُ ، وأشهدُ أن لَا إلٰـهَ إلَّا اللَّـه وحـده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسولُه .

أما بعـد :

فهذا كتاب من فرائد كتب التراث التى تكلّمت عن شـهر رمضان ، وفضائل الصِّيَام ، ولقد سار فيـه مُؤلفه على نهج جلىّ واضح يجلى لنـا دقَّة إحـاطته ، وغزارة علمه ، وسـعة حفظـه للحـديث ، وقد أحسن وأجـاد ؛ إذْ عرض يُكثر من الأحـاديث المتشابهة ، وتلك الـمُشْكلَة، وفصَّل كلًّا منها تفصيلًا دقيقاً مما يشير إلى تعمُّقه فى فقـه الحديث .

وإننا بمصاحبتنا له فى هـذه الرِّحلة العلمية الممتعة ، لنقطعُ بأنه لا يقلّ عن الشوكانى صاحب « نيـل الأوطـار » ، ولا الزَّيْلَعى صاحب « نصب الرَّاية » ، بل إنه يُعتبر فى مصافٍّ جيلهم من الأعلام الأفذاذ الورعين الرَّاشدين .

وقد أَلْفينا الكتاب أَشْـلَاء متناثرة ، وطـلاسم غامضـة ، ومتفرقات كثيرة هنـا وهنـاك ، وقد كان النـاسخ – رحمه اللَّـه – لا يهمز كما كانت قريش كذلك ، وكان أيضاً ضعيف المستوى

اللُّغوى ، ويبدو أنه كان فى أوّل عهده بالنَّسْخ ؛ إذ لم يكنْ مدرّباً تدريباً كافياً ، أو ممارساً ممارسة طويلة ، فوقع منه تحريفات كثيرة ، وتصْحيفات لا حصر لها ، وسقطات تدلّ على تواضعه الشديد وزُهْده فى العلم وفقهه، وقد حَملْنا على عاتقنا تصويب النَّصّ تماماً ، وتَبْرئته من كلّ هذه الأغلاط التى اكتنفته ، وزاد من صعوبة المهمة عدم وجود مخطوطة أخرى تساند هذه المخطوطة النادرة .

وهذا الكتاب الذى بين أيدينا حصلنا على مخطوطة برقم (٧٢٣) وتقع فى ١٧٠ ورقة . آداب عامة ٤٨١١ - رقم الفهرست ١١٢ ، وجدير بالذّكر أنّه بعد الانتهاء من تحقيق الكتاب ، ظهرت مخطوطة حديثة النسخ لم يُعرفْ لها أصل منقولة عنه فتركناها .

وقد قمنا بتخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النّبوية الشريفة ، ثم علّقنا على الأخبار والآثار وعَرّفنا بالأعلام التى وردت فى أثناء متن هذا الكتاب ، ونرجو أن نكون بهذا الجهد الشَّاق قد أسدينا للمتخصصين والباحثين فى علم الحديث سِفْراً جديداً يضيف إليهم لبنة جديدة من لبنات البناء الشامخ المنيف ، من فقه أحاديث الصيام ، واللّه سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو ولى التوفيق .

★ ★ ★

ترجَمـةُ الـمُصَـنِّف (*)

اسْـمُهُ وَمَـوْطِنُـهُ :

هـو الإمام العلَّامة الفقيه ، عـلى بن زين العـابدين بن محمـد بن أبـي محمـد زين الدين عبـد الرحمن بن على ، أبو الإرشاد نور الدِّين الأُجْهُـورى .

ولِدَ – رحمـه اللَّـه – فى أجْهُـور الورد – وهى قرية بريف مصر – سنة (٩٦٧ هـ) ، وإليها يُـنْسَبُ – رحمه اللَّـه – .

مَـنْزِلَتُـهُ العِلْمِيَّـةُ :

احْتَـلَّ العَلَّامَةُ علىّ الأُجهورى مكانةً كبـيرة بـين علماء عصـره ، فيصفه العـلَّامة المحبى فى خلاصة الأثر بقـوله : « هو شيخ المالكية فى عصره بالقاهرة ، وإمام الأئمة ، وعَلَمُ الإرشاد ، وعَـلَّامَةُ العَصْرِ ، وبَرَكَة الزَّمَان .

كان مُحَدِّثاً فقيهاً رحالَة كبـير الشأن ، وقد جمع اللَّـهُ لـه بـين العِلْم

(*) مصـادر ترجمتـه :

« خلاصة الأثر » للمحبى (١٥٧/٣ – ١٥٩) ، و « الخطط التوفيقية » لعلى باشا مبارك (ج ٣٤/٨) ، و « فهرس الفهارس » لعبد الحى الكتانى (ج ١٧١/٢) ، و « فهرس المكتبة الخديوية » (ج ٣٥٥/١ ، ٤٧٧ ، ٢٠٧/٢ ، ج ٢٠١/٦ ، ٢٠٢) ، و « كشف الظنون » لحاجى خليفة (١٦٩/٢ ، ١٦٢٨) ، و « الأعلام » للزركلى (ج ١٣/٥ ، ١٤) ، و « معجم المؤلفين » لعمر رضا كحالة (ج ٥١٠/٢) ، و « هدية العارفين » (٧٥٨/١) .

والعَمَل ، وطار صِيتُهُ فى الـخَافقين ، وعَمَّ نَـفْعُهُ ، وعظمت بَرَكَتُـهُ »[1] .

شُـيُوخُهُ :

لقد رزق اللَّـه الأُجهورى الاجتهاد فى طلب العِلْم منذ صِغَرِه ، فما لبث أن ظهرت براعته ونباغته فى مختلف العلوم الشرعيّة من فقه ، ولُغَةٍ ، ومنطق ، وفى الأصلين : الكتاب والسُّنة ، وقد كان ذلك من خلال العُلَماء الأفذاذ الذين تلقى عنهم ، فمن هـؤلاء العلَّامة محمد الرّملى ، وهو أعلى مشايخه قدراً وعلماً ، ومنهم : البدر حسن الكرخى ، والعلَّامة الحافظ نور الدين على بن أبى بكر القرافى الشافعى ، والفقيه محمد ابن سلامة البنوفرى إمام المـالكية فى عصـره ، والعلَّامة بدر الدين بن يحيى القرافى المـالكى قاضى المـالكية فى عصـره ، وقد سرد العلَّامة الشهاب العجمى فى « مشيخته » نحو ثلاثين شيخاً ممَّن أخذ عنهم .

اجتهَـادُهُ فى نَشْـر العِـلْم :

لقد كان للموهبة العِلْمية التى تَـمَتَّعَ بها الأُجهورى أثر كبير فى نشر العلم فى عصره ، فقد درَّس – رحمه اللَّـه – وأفتى ، وصنف العديد من المصنفات النـافعة ، وأملى الكثير من الحديث والتفسير والفقه ، وتتلمذ على يديه عُلماء كثيرون من أهل عصره ، من هؤلاء : نور الدين الشبراملسى ، وشهاب الدين العجمى وغيرهم ممَّن لا يُحْصَوْنَ لكثرتهم .

مُؤَلَّفَـاتُـهُ :

كان الأُجهورى – رحمه اللَّـه – مُكْثراً من التصانيف النافعة التى أثرت المكتبة الإسلامية فى عصره ، جاء أغلبها فى علوم الفقه الإسلامى والحديث النبوى ، والعقائد ، فمن هذه التآليف :

---

(١) « خلاصة الأثر » للمحبى (ج ١/١٥٧) .

(ا) فى الفقـــه :

١ – مواهب الجليل فى شرح مختصر خليل ، وقد ذكر فى «خلاصة الأثر» : أن له ثلاثة شروح على مختصر خليل فى الفقه المالكى .

٢ – شرح كبير فى اثنى عشر مجلداً ، ووسيط فى خمسة مجلدات ، وصغير فى مجلدين .

٣ – شرح رسالة أبى زيد القيروانى – فى الفقه المالكى فى عدة مجلدات .

٤ – حاشية شرح التتائى للرسالة .

٥ – غاية البيان فى إباحة الدخان .

٦ – أحكام المغارسة .

٧ – الأجوبة المحررة لأسئلة البررة .

٨ – مجموعة فتاويه (جمعها أحد تلاميذه) .

٩ – منسك صغير فى الحج .

(ب) فى السير والحديث والفضائل :

١٠ – شرح مختصر ابن أبى جمرة لصحيح البخارى .

١١ – فضائل شهر رمضان (وهو الكتاب الذى نحن بصدده) .

١٢ – مقدمة فى يوم عاشوراء .

١٣ – النور الوهّاج فى الكلام على الإسراء والمعراج .

١٤ – حاشية على الشمائل .

١٥ – شرح الدرر السنية فى نظم السيرة النبوية (للعراقى) فى مجلدين .

الآية ما نصه : و « **يا** » حرف وُضِعَ لنداء البعيد ، وقد ينادى به القريب تنزيلًا ، له منزلة البعيد ، إما لعظمته كقول الدَّاعى : ياربّ ، ويا الله ، وهو أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْل الوَرِيد ، أو لغفلته وسوء فهمه ، أو للاعتناء بالمدعو له ، وزيادة الحث عليه [1] . انتهى . والضمير فى عظمته ، وغفلته للمنادَى ، قاله **شيخ زادة** [2] .

قال ابن الحاجب [3] فى « الكافية » : « يا : أعمّ حُروف النِّداء : أى ينادى بها القريب والبعيد على السواء ، ودعوى المجاز فى أحدهما خلاف الأصل ، فهى لطلب الإقبال مطلقاً ، والمصنّف لما اختار أن كلمة (يا) موضوعة لنداء البعيد ، وقد شاع استعمالها فى نداء القريب ، كقول الدَّاعى : ياربّ ، وكقوله تعالى : ﴿ **يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي** ... ﴾ [4] ، بيّن أنها حقيقة فى نداء البعيد ، وتُستعمل مجازاً فى نداء القريب تشبيهاً له بالبعيد تنزيلًا له [5] لعلوّ شأنه ، وبُعد مرتبته على مرتبة الدَّاعى مَنْزلة بُعْد المسافة ، كما فى قول الدَّاعى : ياربّ ، وقد تكون للعظمة ، ورفعة المنزلة فى جانب المتكلِّم ، كما فى نداء الله تعالى الأرض ، والسَّماء بقوله : ﴿ **يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي** ... ﴾ إظهاراً لعظمته وكبريائه ، وتنزيلًا لبُعْد مرتبة

---

(١) تفسير البيضاوى (١٦/١) ، طبعة العثمانية .

(٢) **شيخ زادة** : هو محيى الدين ، محمد بن مصطفى القوجوى ، مصلح دينى ، ومفسر من فقهاء الحنفية ، كان مدرساً فى إستانبول ، له : « حاشية على أنوار التنزيل » للبيضاوى ، و « شرح الوقاية فى الفقه » . توفى سنة (٩٥١ هـ) . انظر : « كشف الظنون » (١٨٨/١) ، و « الأعلام » (٩٩/٧) .

(٣) هو : أبو عمرو ، جمال الدين ، عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس ، ابن الحاجب ، فقيه مالكى ، من كبار العلماء بالعربية ، كردى الأصل ، ولد فى إسنا من صعيد مصر ، ونشأ بالقاهرة ، سكن دمشق ، كان أبوه حاجباً فعرف به ، له : « الكافية فى النحو » ، و « الشافية فى الصرف » . توفى بالإسكندرية سنة (٦٤٦ هـ) .

انظر : « وفيات الأعيان » (٣١٤/١) ، و « خطط مبارك » (٦٢/٨) ، و « الأعلام » (٢١١/٤) .

(٤) سورة هود ، الآية (٤٤) .

(٥) لا توجد هذه اللفظة فى (ع) .

المنادَى على مرتبة المتكلِّم ، منزلة بُعد المسافة ، وقد [1] يُنادى بها الغَافل السّيئ الفَهْم ، وإن كان قريباً تنزيلًا لدناءَة حاله بسبب غفلته ، وسوء فهمه منزلة بُعد المسَافة .

وقد ينادَى بها القريب ، وإن كان جيّد الفَهْم ، متفطناً لما يُلقى إليه ، غير مضيع لشيء منه ، تنزيلًا له منزلة البعيد الغافل عنه تنبيهاً على أنَّ المدْعو له أمر مُهمّ ، بلغَ من عظم قدره وعلوّ شأنه إلى حيث يستبعد من المخاطب أن يقوم بما هو حقّه من العقبى [2] فيه ، وإن بذل نفسه ، واستفرغ وسعه ، وجهده فى ذلك ، فصار المخاطب بسبب ذلك كأنه غافل عنه ، غير ملاحظ له . انتهى المراد منه .

حَقِيقَةُ الإِيمَانِ والإِسْلَام :

واعلم : أن حقيقة الإيمان مخالفة لحقيقة الإسلام ؛ إذ حقيقة الإيمان التَّصديق بما علم مجيء الرسول ﷺ به ضرورة .

وقال الأشعرىّ [3] : هو حديث النّفس التابع للمعرفة ، ومراده بحديث النّفس : إذعانها : أى تسليمها ، وقبولها لما علم مجيء الرسول ﷺ به ضرورة ؛ إذ قد يعرف الشَّخص الشيء ويجزم به ، ولا يكون عنده تسليم وقبول له ، كمن أقام بُرهاناً من الشَّكل الأول لنصرانى مثلًا على بطلان إلهية عيسى (عليه السلام) ، وأنه عبد الله ، فإنه يجزم بذلك ؛ لأن العلم بالنتيجة ضرورى ، ولا يقبله ، فإنْ قلت ذكر فى « شرح المطالع » : أن التَّصديق عند أهل الميزان إذعان وقبول ، وليس هو فعلًا للنّفس ، وهذا يقتضى أن التَّصديق المعتبر فى الإيمان هو التَّصديق عند أهل الميزان ، وليس كذلك .

---

(١) لا توجد هذه اللفظة فى (ع) . (٢) فى (ع) : السعى .

(٣) هو : أبو الحسن الأشعرى ، على بن إسماعيل بن إسحاق ، مؤسس المذهب الأشعرى أو الأشاعرة ، كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين ، ولد فى البصرة ، وتلقى مذهب المعتزلة ، وتقدّم فيهم ، ثم رجع وجاهر بخلافهم ، له مصنفات كثيرة منها : « الإبانة عن أصول الديانة » ، و « اللمع » ، توفى ببغداد سنة (٣٢٤ هـ) . انظر : « طبقات الشافعية » (٢٤٥/٢) ، و « المقريزى » (٣٥٩/٢) ، و « البداية والنهاية » (١٨٧/١١) .

قلت : المراد [بالإيمان والقبول فى كلام أهل الميزان [1] : إدراك أن النسبة واقعة ، أو ليست بواقعة وهو غير] [2] بالإذعان والقبول المعتبر فى تعريف الإيمان ، إذ هو ما ذكر مع التسليم والقبول .

قال الكمال : « الإذعان إن فُسِّر بإدراك أنَّ النسبة واقعة أو ليست بواقعة ، أى كما فَسّره أهل الميزان ، فإنه يحصل من المعاند الكافر ، وأما إذا فُسِّر بذلك وبقبوله وتسليمه لم يحصل ذلك منه » .

قلت : والحاصل أن التَّصديق : هو الاعتقاد الجازم ، وهذا بعض أفراد التصديق المنْطقى الذى هو الإدراك المذكور ، وقد ذكر أن التصديق عند أهل المنطق [3] القابل للتصور ليشمل الجازم ، ويشمل الظَّن ، وهو من أقسام ما لا جزم فيه ، والأوَّل تارة يحصل معه تسليم وقبول له ، وتارة لا ، وجرى خلاف فى اعتبار التسليم والقبول فى الإيمان .

فقال بعضهم : لا يعتبر ، وأنه يكفى فى الإيمان التَّصديق بالمعنى المذكور ، وإن لم يحصل تسليم وقبول ، ورُدّ بأنه وقع القَطْع بكفر كثير مع علمهم بذلك كما فى قوله تعالى : ﴿ **يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** ﴾ [4] وما بعدها [5] .

وقيل : لا بُد من ذلك : أى التسليم والقبول فى الإيمان ، وهو الرَّاجح ، وهذا مراد **الشيخ الأشعرى** بقوله : إن الإيمان هو حديث النّفس التَّابع للمعرفة ، وحقيقة الإسلام النُّطق بالشَّهادتين ، أو ما يقوم مقامهما .

حُكمُ النُّطق بالشَّهَادَتَيْنِ :

وهل النُّطق بما ذكر شطر من حقيقة الإيمان ؟

---

(١) **أهل الميزان** : هم المسلمون ، وذلك لأن النبى ﷺ له موقف عند الميزان ، فسموا بذلك .

(٢) هذه الفقرة غير موجودة فى (ع) . (٣) وهم قوم من الفلاسفة .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٧٠) .

(٥) وهو قوله تعالى : ﴿ **يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٧١] .

واختاره **ابن العربى** [1] ، **والنسفى** [2] ، ومن وافقهما ، أو شَرط لصحَّة الإيمان للقادر [3] على النُّطق به ، وهو ما عليه **عياض** [4] ، **والنَّووى** [5] ، ومن وافقهما ، أو شَرط لإجراء الأحكام الشَّرعية فى الدنيا ، وهو ما عليه **الأشعرى والماتريدى** [6] ، وأكثر محققى أتباعهما ، وعزاه فى « شرح العقائد » لجمهور المحققين .

وقال ابن مرزوق [7] : إنه قول **ابن القاسم** [8] ، وعليه

---

(١) هو : أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى الإشبيلى المالكى ، من حفَّاظ الحديث ، ولد بإشبيلية ، ورحل إلى المشرق ، وبرع فى الأدب ، وبلغ رتبة الاجتهاد فى علوم الدين ، له : « العواصم من القواصم » . توفى سنة (٥٤٣ هـ) .

(٢) هو : أبو البركات ، حافظ الدين ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى ، فقيه ، حنفى ، مفسر ، من أهل إيذج من كور أصبهان ، نُسب إلى نسف من بلاد السند ، له : « مدارك التنزيل » ، و « كنز الدقائق » . توفى بإيذج سنة (٧٠١ هـ) . انظر : « الدرر الكامنة »(٢٤٧/٢) ، و « وفيات الأعيان » (٣٩١/١) ، و « مفتاح السعادة » (١٩/٢) .

(٣) فى (ع) : من القادر .

(٤) هو : أبو الفضل ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبى السبتى ، عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث فى وقته ، ولى قضاء سبتة ، ثم غرناطة ، له مصنفات كثيرة منها : « الشفا بتعريف حقوق المصطفى » ، و « شرح مسلم » . توفى بمراكش سنة (٥٤٤ هـ) . انظر : « وفيات الأعيان » (٣٩٢/١) ، و « مفتاح السعادة » (١٩/٢) ، و « قضاة الأندلس » (١٠١) .

(٥) هو : أبو زكريا ، محيى الدين ، يحيى بن شرف الدين بن مرى بن حسن الحزامى الحوزانى الشافعى ؛ علَّامة الفقه والحديث ، مولده ووفاته فى نوا (من قرى حوران بسوريا) ، له مصنفات كثيرة ، منها : « تهذيب الأسماء واللغات » ، و « شرح مسلم » . توفى سنة (٦٧٦ هـ) .

انظر : « طبقات الشافعية » (١٦٥/٥) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٧٨/٧) ، و « مفتاح السعادة » (٣٩٨/١) .

(٦) هو : أبو منصور ، محمد بن محمد بن محمود أبو الماتريدى ، من أئمة علماء الكلام ، نسبته إلى ماتريد محلة بسمرقند ، له : « التوحيد » ، و « أوهام المعتزلة » . توفى بسمرقند سنة (٣٣٣ هـ) .

انظر : « الفوائد البهية » (١٩٥) ، و « مفتاح السعادة » (٢١/٢) .

(٧) هو : أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن محمد ، ابن مرزوق العجيسى التلمسانى المعروف بالحفيد ، عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب ، ولد بتلمسان ، له : « نور اليقين » ، و « المتجر الربيح » ، وتوفى سنة (٨٤٢ هـ) . انظر : « الضوء اللامع » (٥٠/٧) ، و « نيل الابتهاج » (٢٩٣) .

(٨) هو : عبد الرحمن بن القاسم العتقى ، أبو على صاحب مالك الشهير ، أخذ عنه أهل المغرب المذهب . توفى بمصر سنة (١٩١ هـ) .

اللخمى[1]، **وابن رشد**[2]، وهو المعروف من مذهب المتكلمين .

وقال الدلجى[3] فى « شرح الشفا » بعد ما ذكر الخلاف المتقدّم ما نصه : « وهذا الخلاف إنما هو فى القادر غير المُصِرّ على الإبائة[4] من النطق ، أما مَن أصَرّ على ترك النطق بهما مع المطالبة فكافر إجماعاً ، وقوله : أما من أصَرّ ... إلخ » : أى واستمر على ذلك حتى مات .

وقال فى « شرح ملخص المقاصد » لما ذكر الخلاف فى اعتبار النّطق وعدمه فى الإيمان ما نصه : « ثم الخلاف فيما إذا كان قادراً وترك التكلّم لا على وجه الإبائة ؛ إذ العاجز كالأخرس مؤمن اتفاقاً ، والمُصِرُّ على عدم الإقرار مع المطالبة به كافر وفاقاً ؛ لكون ذلك من أمارات عدم التّصديق ؛ ولهذا أطبقوا على كفر **أبى طالب**[5] وإن كابرت **الروافض**[6] ... إلخ » . انتهى .

---

(١) هو : زكريا بن محمد بن الحكم اللخمى أبو يحيى ، كان من أهل العلم ، سمع مالك وغيره ، وكان يستفتى القيروان مع أسد ، وكان فى عداد المدنيين .

(٢) هو : أبو الوليد ، محمد بن أحمد بن رشد الأندلسى ، الفيلسوف الشهير ، عنى بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية ، توفى سنة (٥٩٥ هـ) .

انظر : « الأعلام » (٣١٨/٥) ، و « التكملة » (٢٦٩/١) ، و « شذرات الذهب » (٣٢٠/٤) .

(٣) هو : أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدلجى العثمانى ، الشافعى ، محدث مؤرخ عروضى ، ولد بدلجة سنة (٨٦٠ هـ) تقريباً ، وسافر إلى بلاد الروم ، واجتمع بسلطانها ، وعاد إلى القاهرة ، له : « شرح الشفا » ، و « شرح المنفرجة » ، واختصر « المنهاج والمقاصد » . توفى سنة (٩٤٧ هـ) . انظر : « شذرات الذهب » (٢٧٠/٨) ، و « الكواكب السائرة » (٦/٢) .

(٤) فى (ع) : الإباء .

(٥) هو : عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش ، والد الإمام على (رضى الله عنه) ، وعمّ رسول الله ﷺ ، كان من أبطال بنى هاشم ورؤسائهم ، من الخطباء . توفى قبل الهجرة بثلاث سنوات . انظر : « طبقات ابن سعد » (٧٥/١) ، و « ابن الأثير » (٣٤/٢) .

(٦) **الروافض** : هم فرقة قد ألّهوا الإمام على (رضى الله عنه) فقاتلهم الإمام على بالسيف ، وحرّق ديارهم ، وقد كفّرهم أكثر علماءِ الفِرَق والنِّحَل ، بل عدهم البعض خارجين عن الإسلام تماماً .

وقوله : « والمُصِرّ على عدم الإقرار ... إلخ » : أى إن استمر على ذلك حتى مات .

وقوله : « مع المطالبة بها » لا مفهوم لذلك ، لكن إنما ذكره ؛ لأنه إنما يظهر الإصرار بها غالباً فى هذه الحالة .

وعلى هذا فكل من هذا وما قبله يُفيد أنَّ مَنْ مات على الإصرار المذكور ، فإنه يكون كافراً ، وأن من يطلب منه النُّطق بعد الإصرار فينطق أو ينطق بها من غير طلب ، ولا عُذْر اقتضى نطقه بها ، فإن نطق بها كذلك كان مؤمناً .

وهذا هو الظَّاهر ، بل المتعيّن كما يُفيده كلام « شرح ملخص المقاصد » فإنه قال : « واختلف فيمن لم ينطق بها جهلًا بالوجوب : أى حتى مات ، فيصحّ إيمانه على الثالث دون الأوَّلَيْن ، وهُمَا أنَّ النطق شَطْر من الإيمان ، وشرط لصحته ، وأما من صدق وصرّح بالنقيض ، أو امتنع من النطق أنفة أو حمية : أى مات فلا خلاف فى كفره » . انتهى .

حُكْمُ مَنْ لم يُقِرّ بالتَّوحيد :

وقوله : « واختلف فيمن لم ينطق بهما ... إلخ » : مقتضاه أنَّ مَنْ لم ينطق بهما غفلة لا يكون حكمه كذلك فيكون مؤمناً قطعاً ، وهذا على القول بأن الإيمان شرط لإجراء أحكام الدنيا ، وأما على القول بأنه شَطْر أو شرط لصحة الإيمان ، فهل يكون حكمه كذلك أم لا ؟ والأوَّل هو المستفاد من كلامه لمن تأمله .

والحاصل : أن المستفاد ممَّا تقدّم أنَّ مَنْ لم ينطق بالشَّهَادتين ، ولا بما يقوم مقامهما إما أن يكون مصرًّا على عدم النُّطق بما ذكر أنفة أو حمية ، ثم تتغيّر حالته بحيث يكون التغيير فى وقت لو نَطَق بهما فيه لنفعه ، فإنه يموت مؤمناً ، وإن لم ينطق بهما ، وإلَّا مات كافراً ، وإما أن يكون مصرًّا على عدم النُّطق بهما لخوفه من أمر لا يكفر المؤمن بالنّطق معه بما يوجب الكفر ، ومات على ذلك ، فإنه يموت مؤمناً كمن أصَرّ على النطق بهما ، ومات على ذلك إلَّا أنْ تتغيّر حالته إلى الإصرار على عدم النّطق بهما أنفة أو حمية ، ومات على

ذلك ، فإنه يموت كافراً ، وأما إن لم يكن مصرًّا على النطق بهما ، ولا على عدمه ، ومات على ذلك فإنه يموت مؤمناً .

وَيَبْقى النَّظَر فى شيئين ، وقد حصل السؤال عنهما :

الأوَّل : إذا أصر المصدّق على عدم النُّطق بهما ، ثم رجعَ عن ذلك قبل أن يطلب بهما بحيث صار لو طلب بهما لنطق بهما اختياراً منه ، ومات على ذلك قبل النطق بهما .

الثانى : إذا أصر المصدّق بهما على عدم النُّطق بهما ، وطلبتا منه ، فلم ينطق بهما أنفة أو حمية لا لعذر ، ثم رجعَ عن إصراره المذكور بحيث صار لو طلب بهما لنطق بهما ، ومات قبل نُطقه ، وقد حصل الجواب عن كل منهما : بأنه لا تجرى [1] عليه أحكام الإسلام ، ولا يكون من الكفار المخلّدين فى النَّار هكذا يظهر ، وهذا ما لم يكن ترك النّطق بهما فى هاتين الحالتين لعذر يبيح له ذلك ، وإلَّا فهو مؤمن فى الظَّاهر أيضاً كذا ينبغى ، وبعبارة أُخرى أظهر فى الدَّلَالة من الأولى ؛ وهى أن يقال : أمَّا [2] من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه ، فإنْ أصَرّ على عدم النطق بهما حتى مات أنفة أو حمية ، فإنه يموت كافراً ، وأما إن رجعَ قبل موته عن الإصرار فإن نطق بهما ، فإن كان نطقه فى وقت لو نطق بهما فيه الكافر الأصلى لصار مؤمناً ، فإنه يكون مؤمناً بالنطق المذكور ، وإن كان فى وقت لو نطق بهما فيه الكافر الأصلى لا يكون مؤمناً ، فهل يكون مؤمناً ؟ وهو الظاهر ؛ لأنه مات على الإذعان والقبول بما [3] علم مجىء الرسول ﷺ به ضرورة أم لا ، وأما إن لم ينطق بهما فى هذه الحالة ، فإن كان عدم نُطْقه بهما لعذر يبيح له عدم النطق بهما ، فإنه يكون مؤمناً ، وإلَّا فهل يكون مؤمناً لرجوعه عن الإصرار أوْ لا ؟ لحصول الإصرار منه قبل ذلك ، فليس كمن لم يحصل منه إصرار أصلًا ، والظَّاهر أنه يكون مؤمناً فيما بينه ، وبين الله [تعالى] [4] لا فى ظاهر الشَّرع .

---

(١) فى (خ) : لا يجرى .
(٢) فى (ع) : أن .
(٣) فى (ع) : لما .
(٤) لا توجد فى (ع) .